1- القصة في الأدب العربي القديم

قبل التعريف بالقصة ، ودراسة التطورات التي طرأت عليها، يحسن بنا أن نصدّر كلامنا ببحث حول القصة عند العرب، و نطرح التساؤل الآتي .

هل عرف العرب القصة؟

وقبل الجواب عن هذا السؤال ، يجدر بنا أولا أن نوضّح مفهوم مفردة القصة ودلالاتها؛ هل مفردة القصة تحيل إلى معناها اليوم؟ أم إلى المعنى الذي كان سائداً عند جميع الشعوب في شكلها الشعبي؟

إذا أردنا القصة بمعناها اليوم فإنها لم تكن موجودة قديماً، و أما إذا أردناها بالمعنى الذي كان سائداً في آداب الشعوب في شكلها الفطري، فإنها العرب قد عرفوا هذا النوع من القص، مثلهم مثل غيرهم ، ويتبين ذلك بوضوح إذا ألقينا نظرة سريعة على الأدب العربي، فالعرب منذ العصر الجاهلي كان لهم قصص و أخبار تدور حول الوقائع الحربية، و تروي الأساطير القديمة.

وعند ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم جاءهم «أحسن القصص» ثم تكوّنت على هامش القرآن الكريم ، و تفسيره قصص وحكايات استمدت موضوعاتها و عناصرها من تعليم الدين الجديد، فظهرت قصص الأنبياء و قصة الإسراء المعراج ، والسيرة النبوية .

وقد تكاثرت القصة بعد ظهور الإسلام، و ذلك لاهتمام القرآن الكريم بها في بثّ معاني الدعوة الاسلامية، ونقل الأخبار والأحداث التي وقعت في الأمم الماضية اعتباراً وعظةً للناس في عصر النبوة من المسلمين و المشركين.

وعندما نصل إلى العصر الأموي نرى القصة تحظى بعناية كبيرة حيث صارت مهنة رسمية يشتغل بها رجال يسألون عليها الأجر، و هذا ما دفع الرواة للخروج إلى البادية لجمع الروايات وأخبار الشعراء العشاق كقصة عنترة و عبلة، ليلي و مجنون، جميل وبثينة، كثير عزّة وغيرهما.

وقد تطورت القصة في العصر العباسي تطوراً ملحوظاً، إذ بدأت طائفة كبيرة من الكتاب ينقلون القصص الأعجمية إلى العربية حيث بلغت حوالي ستين ترجمة، و من أشهرها «كليلة و دمنة» لعبدالله بن المقفّع حيث فتح باباً جديداً في الأدب القصصي العربي، و صار نموذجاً مثالياً سار على منواله كثير من الكتاب المتأخرين الذين صاغوا أفكارهم الفلسفية على لسان الحيوانات، ومن القصص الأخرى المهمة «ألف ليلة و ليلة» من أصل هندي أو إيراني، و قد أثر هذا الكتاب في الأدب القصصي العالمي تأثيراً كبيراً لِمَا فيها كثير من العناصر القصصية الجديدة.

ومن القصص المؤلّفة التي صاغها العرب أنفسهم «البخلاء» للجاحظ، و قد صوّر فيها أخلاق فئات من الناس، و هم البخلاء، متعرّضاً لهم آخذاً عليهم، ثم رسالة «التوابع والزوابع» لابن شهيد الأندلسي وموضوعها لقاءات مع شياطين الشعراء، ثم «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، وهي قصة خيالية عن طريق السفر الخيالي إلى الجنة و الجحيم، لقي فيه أبوالعلاء شعراء الجنة و الجحيم، وانتقد من خلاله الشعر في العصر الجاهلي والاسلامي. وقد تميزت هذه الرسالة بخيال خصب كما قال طه حسين، حيث جعلها في عداد الآثار النادرة.

وأما المقامات فهي أقرب الأنواع القصصية في الأدب العربي إلى القصة الفنية الجديدة، وقد اعتبرها بعض المستشرقين أول مظهر للقصة العربية، و هي قصة قصيرة تدور حول مغامرات بطل متخيل يرويها راوٍ معين ، وبطل؛ لها غايات مختلفة وقد أجمع المؤرخون على أن بديع الزمان هو مبدع المقامات، ومن أشهر من جاء بعده الحريري.

وإضافة إلى هذه الأعمال القصصية نرى القصة تواصل سيرها في تراكم وتنوع، فيدخل فيها الرحلات (رحلة ابن جبير و ابن بطوطة) والخرافات وسير الأشخاص (سيرة عنترة و سيرة بني هلال ، والأميرة ذات الهمة)

والذي يمكن قوله بعد هذا الاستقراء السريع لمسيرة القصة في الأدب العربي القديم حيث وجدنا كمًّا هائلا من التراث القصصي ، ما يشير إلا أن العرب كانوا بفطرتهم ميالين إلى القصص والأخبار، و أن القصة بمفهومها الفطري قد وجدت عندهم منذ زمن قديم حتى قيل إن الغربيين كانوا في بدء نهضتهم مدينين للقصص

العربية القديمة، وأنهم لم يعرفوا القصة قبل اطلاعهم على بعض هذا الإرث من الحكايات من أمثال «ألف ليلة و ليلة»، و «السند باد » .

ونخلص من هذا كله إلى القول بأن القصة العربية نشأت و تطورت، شأنها في ذلك شأن الآداب الأخرى تحت ظروف وعوامل متشابهة حسب المعتقدات والأساطير، وأن الأدب العربي القديم بما فيه من تراث قصصي ثري ومتنوع ، كالقصص القرآني، و قصص الأنبياء، و السيرة النبوية، والمقامات، والرحلات، والقصص الخيالية، والتراجم الذاتية ، قد ترك تراثاً ضخماً في مجال الأدب القصصي أحدث أثراً بارزاً – في رأي بعض المعاصرين – في نشأة الأدب القصصي الغربي و تطوره فيما بعد.

ومع هجمة التتار وسقوط الخلافة العباسية بدأت فترة الضعف في جوانب الأدب العربي؛ الأمر الذي أدّى إلى تراجع الحركة الأدبية من جهة، والتشاغل عن حفظ هذا التراث الضخم من جهة أخرى، و لذلك قلما نشاهد في هذه الفترة التي امتدت ستة قرون إبداعاً بارزا في مجال القصة.

2- القصة والرواية في الأدب العربي الحديث

اختلف الدارسون المحدثون في نشأة القصة العربية الحديثة؛ فريق يتحمّس لأصلها العربي، ويرى أنها وليدة التراث القديم وامتدادا له، وفريق ينفي أن تكون هناك أدنى صلة بين القصة الجديدة، وبين تلك الأنماط القصصية القديمة، ويرى أنها وليدة المثاقفة بين الأدب العربي والآداب الغربية في العصر الحديث.

وإذا تأملنا القصة العربية المعاصرة، و هي فن جديد يختلف شأنها عن شأنها القديم، اتضحت لنا أنها مرّت بأربع مراحل أساسية ظهرت في كل منها أنواعا من القصة، و هي:

أ- مرحلة التقليد و التعريب (1850-1914).

ب- مرحلة التكوين و الإبداع (1914-1939).

جـ- مرحلة التأصيل والنضج (1939- 1960).

د- مرحلة التجريب والبحث (1960- حتى الآن)

أ: القصة العربية في مرحلة التقليد والتعريب

على الرغم من أن غالبية الباحثين قد أنكرت الصلة بين القصة العربية الحديثة و بين التراث القصصي عند العرب، إلا أن هذا الارتباط موجود بشكل ظاهر في صياغة الشكل و المضمون، إذ بدت القصة الحديثة في بدء تطورها متأثرة بالأجناس القصصية المأثورة كالتراجم و المقامة ومن أوضح أمثلة التأثر بفن المقامة هو «حديث عيسي بن هشام» للمويلحي (1900) حيث يبدو فيه التأثير العربي واضحاً في العناية بالأسلوب والأحداث التي تقع للبطل الذي يتصل بشخصيات متعددة، كما أن الأثر الغربي أيضاً يبدو فيه جلياً من حيث تنويع المناظر، و تسلسل الحكاية، و بعض ملامح التحليل النفسي.

ومن المؤلّفات الأخرى التي تأثرت بأسلوب المقامة قصة «علم الدين» لعلي مبارك، ويدور موضوعها حول عالم مستنير الفكر اسمه «علم الدين»، يلتقي بسائح إنجليزي، و يذهب معه إلى أوروبا، فيقيسان العادات و التقاليد الشرقية والغربية مرجِّحَين تارة هذه على تلك، أو العكس؛ فالتأثر بأسلوب المقامة يبدو واضحاً في هذه القصة.

ومنها «السّاق على السّاق» لأحمد فارس الشدياق، و هي شبيهة بالتراجم الذاتية تحدّث فيها الشدياق عن مراحل حياته وأسفاره بأسلوب المقامات، و غايته إبراز مقدرته على استعمال الكلمات الغربية، وذكر محاسن النساء و مثالبهن.

والتأثر بأسلوب المقامة ساد فترة طويلة كثيراً من مؤلفات عصر النهضة، و ذلك أن الكتّاب يحاولون بناء الأسس القصصية الجديدة وفق أساليب القصة القديمة لحرصهم على عدم ضياع تراثهم، ولذلك نراهم صنعوا مؤلّفات على غرار المقامات متأثّرين بها في القالب كأحمد شوقي في «عذراء الهند» (1897)، موضوعه إشارات إلى تاريخ مصر القديم، وحافظ ابراهيم في «ليالي سطيح»، موضوعه انتقادات من أوضاع مصر، و محمد لطفي جمعة في «ليالي الروح الحائر» (1907)، و موضوعه نقد الظروف الاجتماعية في مصر.

وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت موجة جديدة من الأدب القصصي الحديث، وذلك إثر ترجمة القصص الغربية، و قد نمت هذه الموجة في مصر و

لبنان، وكان أصحابها توّاقين إلى الأدب الغربي مشيدين به، فراحوا يترجمون القصص الغربية التي كانت موضوعاتها في الأغلب موضوعات رومانتكية حول الحبّ و الجنس دون أن ينتبهوا إلى الآثار السلبية التي تتركها هذه القصص في العقيدة والثقافة العامة، وفي الوقت نفسه أنتج هؤلاء الكتاب مؤلفات قصصية منقطعة عن الجذور العربية، مطبوعة بطابع التقليد للقصة الغربية تغلب عليها نزعة رومانتيكية، و الغاية منها التسلية.

وقد بدأت هذه الموجة على يد اللبنانيين؛ منهم سليم البستاني الذي اعتبر الرائد الأول لهذا التيار، فقد ألّف في فترة قصيرة فيما بين 1848 إلي 1884 عدداً كبيراً من القصص تراوحت موضوعاتها بين التاريخ والاجتماع، و نشرها في مجلة «الجنان»؛ و من قصصه «الهيام في جنان الشام (1870)»، موضوعها قصة بين رجل و فتاة يلتقيان تارة ويفترقان تارة أخري»؛ «زنوبيا (1871)»، موضوعها تاريخ الصرع بين ملكة تدمر، وبين الرومان؛ «بدور (1872)»، موضوعها حول أميرة أموية عشقت عبدالرحمن الداخل؛ «أسماء (1873)، موضوعها قصة رجال أحبّوا فتاة، و كلّ منهم يحاول أن يجذبها إليه؛ «فاتنه (1877)»؛ «سلمي (1878)»؛ و «ساميه (1882)».

وبما أن سليم البستاني كان صحفياً فقد اهتمّ بتناول مختلف الموضوعات في قصصه من تاريخ وجغرافيا واجتماع و فلسفة و رحلات شأنه فيها شأن مجلته من حيث تناول الموضوعات المختلفة، كما أنه بحكم عمله اتجه نحو تسهيل اللغة والاقتراب من أسلوب اللغة الدارجة مما أوقعاه في الضعف و الركّكة أحيانا.

والذي يجدر ذكره أن للصحف أثراً بارزاً في نشوء القصة العربية واتساع دائرتها والتقدّم بها إلى الأمام، فقد ظهر في فترة وجيزة عددا كبيرا من الصحف والمجلات كصحيفة «الأخبار»، «وادي النيل»، «البشير»، «الأهرام»، «المقتطف»، «الهلال»، وقد خصّص كل منها قسماً للقصص المؤلفة والمترجمة، أو مجلات نصف شهرية اقتصرت على نشر القصة والرواية، منها «سلسلة الفكاهات في أطايب الروايات»، «حديقة الأدب»، «مسامرات الشعب»، «الروايات الجديدة» .

ومن أعلام القصة والرواية في هذه المرحلة فرح أنطوان (المدن الثلات، الوحش الوحش الوحش، أورشليم الجديدة)، نقولا حداد (النص الشريف، كله

نصيب، حواء الجديدة، آدم الجديد)، يعقوب صروف (فتاة مصر، أمير لبنان، فتاة الفيوم)، لبيبة هاشم (قلب الرجل، جزاء الخيانة، جزاء الإحسان)، طاهر حقي (عذراء دنشواي)، المنفلوطي (العبرات و النظرات) .

وصفوة القول في القصة في هذه المرحلة أن أعمال هؤلاء الكتاب كانت في أغلبها تقليد للقصة الغربية، يغلب عليها السرد التاريخي أوالاجتماعي دون ارتباط بمذهب فني واضح، ولم يكن أحد من هؤلاء الكتاب قاصاً مختصاً، بل كانت القصة فنّاً وعملا ثانوياً بالنسبة إليهم، وبالنسبة إلى المهنة التي يعملونها، وهو العمل الصحفي؛ فسليم البستاني و فرح أنطوان، ونقولا حداد، و يعقوب صروف، و جرجي زيدان كانوا يصدرون مجلات شهرية، وكانت القصة المتسلسلة تمثل جزءاً من هذه المجلات، ولهذا فإن العمل القصصي في هذه المرحلة ينقصه التخصص وفنيَّة العمل، وهو عند هؤلاء تقليد للاتجاهات الغربية، و ليس منبعثاً انبعاثاً حقيقاً من البيئة العربية.

ولكن هناك ظاهرة فنية يجدر الوقوف عندها، وهي الجهود القصصية للذين مضوا إلى المهجر، فأتيح لهم الاطلاع على النماذج القصصية الغربية بكمل وجه، فتأثروا بها فنضجت أعمالهم حيث تختلف عن النماذج القصصية في البلدان العربية، فلا شك أن إنتاجات جبران من القصة كـَ«عرائس المروج (1906) و.«الأرواح المتمـــردة (1908)»، و «العواصـــف (1910)»، و «الأجنحـــة المتكسرة (1912)» ،كان لها طعم جديد، إذ يبدو فيها روح التمرد على عوامل الجمود وموانع التطور، أو ما صدر عن أمين الريحاني كرواية «خارج الحريم» تختلف كثيراً من ناحية تعقّد الأحداث، أو رواية «زنبقة الغور» فإنها تمثل تطوراً ملحوظاً عن نماذجها السابقة.

ثم من الذين هاجروا إلى خارج الوطن العربي وكتبوا فيه، و خرج نتاجهم ثمرة لتثاقف المجتمعين العربي والأروبي، الدكتور محمد حسين هيكل الذي نشر رواية «زينب (1914)» حيث اعتبرت هذه القصة في رأي البعض بأنها بشّرت بمرحلة جديدة في القصة العربية، وهي مرحلة التكوين القصصي العربي.

ب- مرحلة تكوين القصة العربية الحديثة (1914-1939)

إن فترة ما بين الحربين العالميتن اعتبرت مرحلة تكوين الأدب القصصي والروائي عند العرب، فالحرب العالمية الأولى وما تبعها من أحداث و تحولات في تركيبة المجتمعات العربية، ومن تغيير في القيم والموازين، ومن تطور في الثقافة والسياسة والوعي القومي والثورات الوطنية، كل هذا أحدث جواً جديداً وذوقاً مختلفاً عن سابقه، و تطلّب بناءً وأسلوبا جديداً للتعبير عن هذه التحولات.

وكما أشرنا سابقاً من أن اللبنانيين كانوا من رواد القصة في الفترة الأولى، لكن في هذه الفترة نتيجة هجرة اللبنانيين إلى مصر، بسبب الحروب و الفتن الداخلية، انتقلت الريادة إلى أيدي المصريين، وبما أن الجيل الجديد منهم أقبلوا على العلوم الجديدة ، وتعرّفوا إلى الثقافة الأوروبية ، واطلعوا على أسس التحرر والاستقلال، فشكلوا أحزابا سياسية ومنظّمات جديدة تهتف بالوعي السياسي والاجتماعي و التحرر الوطني، كما أسسوا صحفاً تبثّ الاعتزاز بالشخصية المصرية والروح الوطنية في الشعب حرصاً منهم على إحياء التاريخ المصري القديم لبثّ روح الأمل في الشعب والخروج من التخلّف الذي يحسّون به عند قياس أنفسهم بالبلدان الأوروبية، لذلك توسعوا في نشر الصحف والمجلات، وغيروا المناهج والمنظّمات التعليمية ، ونسّقوها حسب المناهج والمنظّمات الغربية كما انتقدوا كثيراً من العادات و التقاليد الشعبية التي تمنعهم من الحركة السريعة نحو التقدّم والتغيير.

وقد كوّنت هذه العوامل مناخاً جديداً وجواً مختلفاً يتطلب جيلاً جديداً من الكتاب ليستوعبه و يهضمه ويخرج منه ثمرة جديدة لمجتمع جديد يسعى إلى التقدّم و التطور.

وهكذا أخذت القصة العربية بعد الحرب العالمية الأولى طابع المحلية والقومية، و بدأت تصوّر فئات من المجتمع المصري أو اللبناني أو السوري أو العراقي بغية تحسين فضاء المجتمع.

وفي هذا البحر المتلاطم في مصر ظهر كتاب صوّروا مجتمعهم خير تصوير؛ منهم طه حسين الذي له أثر مهم في إرساء قواعد الفن القصصي، و من أعماله: «الأيام (1929)»، «أديب (1935)» حيث انتقد فيهما القضايا الاجتماعية والتعليمية والتربوية في المجتمع المصري، و «دعا الكروان (1941)» و... .

ومنهم توفيق الحكيم الذي عني بتصوير الواقع و المشكلات الاجتماعية. و من آثاره: «عودة الروح (1931)»، «يوميات نائب في الأرياف (1937)»، «عصفور من الشرق (1938)».

ومنهم محمود تيمور الذي اهتمّ بقضايا ماوراء الطبيعة والروحانية الشرقية في رواية «نداء المجهول (1939)»، كما عني بقضايا اجتماعية و نزعات إنسانية في رواية «سلوى في مهب الريح».

ومن الأعلام أيضا عيسي عبيد «ثريا (1922)»، طاهر لاشين «حواء بلا آدم (1934)»، محمد تيمور.

ومن الظواهر المسترعية للنظر في هذه المرحلة ظهور اتجاه التحليل النفسي وبيان أثره على الأدب، و قد حمل لواء هذا الاتجاه العقاد والمازني، و ذلك بتأثرهما بمدرسة التحليل النفسي الغربي، و أرسيا أسساً و قواعد في تأليف القصص والروايات وتحليلها. فمن آثار المازني: «إبراهيم الكاتب (1931)»، «إبراهيم الثاني»، «عود على بدء (1943)»، و من آثار العقاد: رواية «سارة (1938)» التي عدها النقَّاد صورة واضحه من منهج العقاد التحليلي.

وقد بدأ الوعي القومي والإحساس بالشخصية في البلاد العربية بتأثير مصر حيث نرى في لبنان ظهرت قصص وروايات على غرار القصص و الروايات المصرية ، عالجت القضايا القومية والمشاكل الاجتماعية كرواية «العمال الصالحون (1927)» لإلياس أبوشبكه حيث تصور فيها انتحار طفل في السابعة من عمره ليتخلص من حياة الشقاء التي تسومه إياها امرأة أبيه.

ثم كرم ملحم كرم الذي أنقذ الرواية اللبنانية من هاوية السقوط وأحياها من جديد؛ ومن رواياته: «بونا أنطون (1937)»، «صرخة الألم (1939)»، «الشيخ قرير العين (1944)»، «دمعة يزيد»، «صقر قريش»، «قهقهة الجزائر» ، و قد جمع في رواياته بين الاتجاه التاريخي والاجتماعي، إلا أنه يتفوق في الاتجاه الاجتماعي.

ومن أعلام القصة والرواية اللبنانية في هذه الفترة لطفي حيدر، وله رواية «عمر أفندي (1937)»، فقد تصور فيها كوارث اجتماعية للحرب العالمية الأولى.

ومنهم أحمد مكي، ومن أعماله «النداء البعيد (1939)»، تتمحور الرواية حول اختلاف الأديان حيث يمنع من زواج متحابين.

ومنهم توفيق عواد الذي اعتبر قمة الروائيين اللبنانيين في هذه الفترة، و من أهم آثاره: «الرغيف (1939)»، و يدور موضوعها حول صراع العرب من أجل استقلالهم.

وأما البلدان العربية الأخرى أيضاً فقد خطت خطوات مهمة في مجال القصة والرواية في هذه الفترة، ففي سوريا ظهرت جهود استرعت الانتباه، و من أهمها أعمال معروف الأرناؤوط التاريخية كرواية «سيد قريش (1929)»، «عمر بن الخطاب (1936)»، إلا أنها من الناحية الفنية أقرب إلى جهود الفترة الأولى، وإن نسبت زمنياً إلى هذه الرحلة. كما أن العراق والأردن والسودان أيضاً لها قصص وروايات، لكنها تقلّ عن البلدان السابقة من ناحية الكمّ و الكيف.

وإذا وقفنا عند الخطوط العامة عند روايات وقصص هذه المرحلة تبين أنها في مجموعها صورة صادقة عن أفكار الطبقة الوسطى تتمثل فيها الأحلام و الهموم و القيم والموازين التي تتعلق بهذه الطبقة الجديدة المتوسطة، و من سمات أبناء هذه الطبقة حب الاستكشاف، وحب البحث عن الحقيقة، والرغبة في المعرفة، و خوض المخاطر و التجارب الجديدة التي لا عهد لهم بها، ثم من سماتهم الأخرى التأمل في ملكوت السماوات والكون، وحب الطبيعة و الشغف بجمالها.

والطبقة الاجتماعية التي تناولتها قصص وروايات هذه الفترة بالتصوير والتمثيل هي الطبقة البرجوازية المتوسطة، ولذلك لا نجد فيها تعلقاً بالطبقات الأرستقراطية ، أو تمثيل عاداتهم وقيمهم، كما لا نجد فيها الصراع الطبقي والتنظيم الإقطاعي وما يتفرع عنه من تكوين الطبقة الحاكمة، والطبقة المستبدة، وطمس فردية الانسان وحريته، بل كانت أهمية الفرد، و التأكيد على شخصيته وتجاربه وقدرته في التخلص من الكوارث و المصائب التي تعترض سبيله نحو التحرير والانطلاق والبحث عن المجهول أهم القضايا التي عالجتها قصص وروايات هذه المرحلة .

ومن الناحية الثقافية أيضاً نجد أعمال هذه المرحلة ثمرة من ثمرات امتزاج الفكرين الشرقي العربي بالغربي الأوروبي وتفاعلهما في شتي المجالات، كما أنها تمتاز بالتخلص من ثنائية الثقافة وثنائية الشخصية وازدواجية المشاعر

وانقسام الكاتب إلى ثقافتين في لحظات كتابة القصة والرواية؛ وذلك أن الثقافة الغربية تمثلت وسرت في فكره و سلوكه، شأنها شأن ثقافته الأصيلة، فتفاعلت الثقافتان وأصبحتا شيئاً واحداً تنتجان ثمرة مشتركة.

والذي يجدر ذكره أن القضايا الاجتماعية التي طُرِحَت في أعمال هذه المرحلة طُرِحَت من أجل إيجاد الحلول لها من خلال أهدافة تربوية اصلاحية .

والنقطة الأخيرة أن كتّاب هذه المرحلة لهم رسالة اجتماعية فنية؛ فمن الناحية الاجتماعية فإنهم أصبحوا كمصلحين يبدون مواقفهم من التقاليد والصراعات الاجتماعية، ومن الناحية الفنية لم تعد الأعمال القصصية والروائية سبيلاً من سبل التفكه أو التسلية أو منبراً لإلقاء المواعظ والنصائح أو وسيلة لعرض المعلومات والمعارف ، بل أصبحت الغاية فنية، وأصبحت الكتابة في هذا الفن عملاً يعتز به صاحبه، و يتثقف من أجله و يبحث عن كل وسائل النجاح من أجل إخراج عمله عملاً فنياً رائعاً يجمع بين الرسالة الاجتماعية والغاية الفنية.

جـ- مرحلة تأصيل القصة العربية (1939- 1960).

هذه المرحلة هي مرحلة تأصيل القصة وتطورها ، و قد تداخلت هذه المرحلة بالمرحلة السابقة عقداً من الزمن حيث كانت الثلاثينيات خاتمة مرحلة التكوين و مدخلا إلى مرحلة التأصيل حيث اختارت الرواية والقصة العربية اتجاهاً جديداً نتيجةً لأسباب وعوامل مختلفة لم تكن ميسرة لهما في المرحلة السابقة.

وقد أتيحت الفرصة في هذه الفترة للكتّاب للاطلاع على المناهج و طرق البحث العلمي والكاديمي ،كما أتيحت الفرصة للاطلاع على أنواع الدراسات النفيسة والتحليلة والرمزية، والأهم من هذا كله أتيحت فرصة الاطلاع على اللغات الأجنبية والدراسات الواسعة في ميادين الأدب والقصص والفروع المختلفة للفكر الأوروبي بلغاته الأصلية، وكان للجامعة المصرية فضل أساسي في التمهيد لهذه الفرص، إذ هيأت جيلاً حسب الأصول العلمية والمناهج الكاديمية الحديثة مهتمةً بأنواع العلوم كعلم النفس والفلسفة والاجتماع والتاريخ، وجَعلِها في متناول اليد؛ زد على ذلك الدعوة إلى الحرية في التفكير والإشادة بالقيم الديمقراطية التي عني بطرحها الأساتذة الجامعيون على هذا الجيل، كل هذا أخرج جيلاً جديداً من الكتّاب اتجه في كتاباته نحو الواقعية مستعيناً بقوى العقل

والمنطق في مواجهة الأحداث والمشكل والتعبير عنها، و ابتعد عن تلك النزعة الرومانتيكية السابقة.

وقد أطلق على هذا الجيل من الكتاب عنوان «جيل الجامعيين» وذلك أنهم كانوا من خريجي الجامعة؛ منهم: علي أحمد بكثير خرّيج في قسم اللغة الإنكليزية؛ عبدالحميد جودة السحار خريج كلية التجارة والاقتصاد؛ يوسف السباعي خريج الكلية الحربية؛ إحسان عبدالقدوس خريج كلية الحقوق؛ يوسف إدريس خريج كلية الطب، و قمة كتَّاب هذه المرحلة نجيب محفوظ خريج كلية الآداب، قسم الفلسفة؛ عبدالرحمن منيف الدكتوراه في العلوم الاقتصادية .

والنقطة المهمة في أعمال هؤلاء الروائيين أنهم تخلصوا إلى حد بعيد من العيوب التي كانت في أعمال المراحل السابقة من الناحية الفنية، كما حاولوا التخلص من عقدة الانبهار والإعجاب بالثقافة الغربية، ومن الخطف السريع لثمار الفكر الأوروبي دون أن يكون بوعي ومنهجية، وبالرغم كل هذه التطورات في القصة والرواية العربية من ناحية البناء الفني إلا أنها مازالت تحتاج إلى الاكتمال في تشكيل بنائها الفني، إذ هي لم تخرج في معظمها عن قصص وروايات شخصيات أو أحداث، كما أنها لم تكتمل بعدُ من ناحية الأسلوب حيث تراوح أسلوبها بين التصوير، و هو طابع الأسلوب الروائي و بين التقرير، و هو طابع المقالة.

وبعد نجيب محفوظ الذي أسّس البناء الفني للقصة والرواية العربيتين ، وبلغ بهما الذروة لحد بعيد، بدأت فترة نهضوية متميزة بفضل الأحداث الدامية التي حدثت في الخمسينات والستينات، و من أهمها هزيمة 1967؛ ففي هذه المرحلة استطاعت القصة والرواية أن تتطور وتتقدّم كثيراً حيث زال عنها بعض النقص الذي أشرنا إليه من ناحية الأسلوب والتشكيل، إذ ظهر تحررا في مضامينها وأشكالها بالمقارنة مع الشكل الروائي السابق. فمن ناحية المضمون والمحتوى حاول الروائيون الجدد بعد نجيب محفوظ استيعاب كل التحولات التي وقعت في المجتمع العربي دون العناية بطابع المحلية وحصر أنفسهم فيه كالجيل الماضي، فظهرت أسماء كثيرة في عالم القصة والرواية من الأقطار العربية المختلفة كجبرا ابراهيم جبرا، غسان كنفاني، حنّا مينة، عبدالرحمن منيف، جمال الغيطاني ، الطيب صالح، غادة السّمان، حليم بركات، فأعمال هؤلاء وإن تفترقت على

المستوى الجغرافي، لكنها تلتقي في قضايا وموضوعات مشتركة كالحرية ، السياسة، الانتماء الوطني والقومي، القضية الفلسطينية، الصراع الطبقي .

وأما على المستوى الشكلي فظهرت تنويعات في أساليب السرد و تعدّد التقنيات في المزج بين الوصف والتذكر و المشاهد الحوارية ، ممّا جعل القصة والرواية العربيتين تنفصل كثيرا عن التقليد الأوروبي، وتمتلك بعض الخصوصية ؟

د- مرحلة التجريب والبحث (1960- حتى الآن)

هذا الاتجاه أحدثُ اتجاه ظهر في العالم القصصي والروائي، والذي اعتمد عليه المعاصرون بوصفه تقنية جديدة من أجل تجاوز واقعهم الفني المستهلك، فقامت القصة التجريبية على توظيف البناءات والأحلام اللغوية، واستقلال تقنيات الشعور و اللاشعور، و انثيال الوعي واللاوعي والأحلام، وإلغاء عنصري الزمان والمكان، والتكثيف اللغوي والمجازات والرموز .

وقد ظهر هذا الاتجاه بغية بناء أدب مضادّ للابداع المتعارف عليه مسبقا عن طريق تجاوز البنيات الشكلية للقصة، والعناصر الفنية، واستخدام اللغة بطريقة جديدة، والخروج على الأنماط القصصية السائدة نحو الإبداع والإبتكار، وارتياد عالم مستقبلي مجهول منقطعاً عن الماضي والحاضر، متفائلا إلى المستقبل .

المراجع

1- الاتجاه القومي في الرواية، مصطفي عبدالغني، عالم المعرفة، الكويت، 1994م.

2- الأدب القصصي و المسرحي، احمد هيكل، الطبعة الرابعة، دار المعارف، 1983م.

3- تطور الأدب الحديث في مصر، احمد هيكل، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، 1994م.

4- تطور الرواية العربية الحديثة، عبدالمحسن طه البدر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، 1976م.

5- تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ابراهيم السعافين، دار المناهل، بيروت، 1987م.

6- تطور فن القصة اللبنانية، علي نجيب العطوي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م.

7- تكوين الرواية العربية (اللغة و رؤية العالم)، محمد كامل الخطيب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م.

8- الرواية العربية: النشأة و التحول، محسن جاسم الموسوي، دار الآداب، بيروت، دون تاريخ.

9- الرواية العربية المعاصرة: بدايات و ملامح، محمد عزام، مجلة المعرفة، العدد 388، 1996م.

10- في الجهود الروائية (من سليم البستاني إلي نجيب محفوظ)، عبدالرحمن ياغي، دار الفارابي، بيروت، 1999م.